**محددات خطاب التجديد الديني المعاصر**

**من حيث إعادة الاعتبار للعقل والواقع**

**استمارة المشاركة**

**الاسم واللقب:** حباسي خالد

**الدرجة العلمية:** دكتوراه في العقيدة والفلسفة

**المؤسسة الأصلية:**كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر

**الدولة:** الجزائر

**رقم الهاتف/ الفاكس**:0666215802

**الوظيفة الإدارية في الجامعة:** رئيس قسم العلوم الإنسانية جامعة الوادي

**البريد الإلكتروني:** habkhaled@gmail.com

المشاركة في المؤتمرات والندوات:

- الخطاب الديني في المنظومة التربوية،

-الفلسفة التطبيقية وتمثلاتها لمشكلات الإنسان المعاصر...

**محور البحث: الفكر العربي المعاصر بين التبعية و الإبداع. "في الموضوع والمنهج الخطاب الديني".**

**عنوان المداخلة:**

**محددات خطاب التجديد الديني المعاصر من حيث إعادة الاعتبار للعقل والواقع**

**محددات خطاب التجديد الديني المعاصر**

**من حيث إعادة الاعتبار للعقل والواقع**

كمقارنة بين من اصطلح -من لدن البعض[[1]](#footnote-1)- على تسميته بالمفكر أو "المثقف" الديني والفقيه التقليدي؛ سنلاحظ أن هناك تطلعات وأهدافاً اتجه نحوها الأول بعيداً عن التحفظات والمسالك التي ورثها الثاني. ولإبراز هذا المعنى سنسلط الضوء على مواقف عدد من المفكرين الرواد، بعضهم يزدوج فيه الحال من امتلاك ناصية كل من المثقف من جهة، والفقيه أو المفسر المختص من جهة أخرى، لكن خصال الثقافة والفقه معا فيه بارزة إلى درجة غير قليلة من حيث ميوله وتكوينه الفكري، كما هو الحال مع محمد عبده[[2]](#footnote-2) الملقب بالشيخ الإمام، وبدرجة مغايرة مع تلميذه رشيد رضا[[3]](#footnote-3)، وكذلك صاحب الثمرة الناضجة لجهود المدرسة الإصلاحية والمتميز –كما يبدو من خلال دراسة خطابه- في مدرسة الجامعة الإسلامية معاصرنا محمد الغزالي، الذي أرى من خلال دراسة آثاره بأنه أحسن من مثل الدور الإيجابي للفريقين وأخذ بالحسنى من كلا الطرفين.

 لا أحد يخطر في باله أن الشيخ الغزالي قد ابتغى صوغ منظومة فكرية تصورية محكومة بآليات المنطق التقني ومنهجيات العلم الطبيعي السائرة، على ما تجد عند المفكرين والفلاسفة أو اللاهوتيين أو المتكلمين المحترفين أو فلاسفة العلوم الوضعية، لأن منظومته التي تمثلها وأحياها وسعى على الدوام إلى نشرها كانت "الإسلام" نفسه، في جملته، وفي وجوهه التفصيلية المختلفة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والخلقية والروحية، ولأن المبدأ الرئيس الموجه لتجربته وحياته تمثل في أن "الإسلام للحياة".

 وواقع الأمر أن المبادئ "الموضوعية" التي أسست "العقل" لدى **محمد الغزاليّ**[[4]](#footnote-4) كانت ماثلة على الدوام في جميع أعماله العلمية والفكرية التي نتداولها ونقلبها من أجل النظر والتأمل، أو من أجل البحث، أو من أجل نشدان الفائدة.

كما أن الذين استمعوا إلى دروسه أو التقوا به وبادلوه الحوار أو الجدل أو السجال يعرفون ذلك حقاً. وهذه المبادئ الموجّهة أربعة رئيسة هي: **الإيمان والعقل والعلم والعاطفة الوجدانية.**

 وقد يمكننا ردها إلى حدين مركزيين تتردد بينهما جميع هذه المبادئ وهما:

حدا **الإيمان** من طرف أول، وإليه يرد مبدأ العاطفة الوجدانية، **والعقل** من طرف ثان، وإليها يرد العلم أساساً[[5]](#footnote-5).

 وعود على بدء أن ممن استشهدنا بهم هنا لا ينتمي إلى ما ذكرناه من التخصص الفقهي أو التفسيري، لكنه ذو معرفة عالية بالشؤون الإسلامية وثقافة واسعة في ما عداها من قضايا الواقع، كما يتجلى الأمر لدى **عبد الرحمن الكواكبي**[[6]](#footnote-6).

وبالتالي فإن من الممكن مقارنة المواقف المعرفية لهؤلاء المفكرين مع نظائرها التي تعود إلى الفقيه. فالذي يطلع على أفكار هؤلاء يرى أنهم يقفون موقفاً مغايرا للنهج الذي ارتسمه جملة من الفقهاء قديماً وحديثاً، وقد اتصفت آراؤهم بالجرأة والصراحة[[7]](#footnote-7).

**المحددات المنهجية لخطاب المفكرين الدينيين:**

كإبراز **للمحددات المنهجية** التي خطها فصيل المفكرين أو المثقفين لخطابهم، سيبرز لدينا ما يلي:

1. **الدعوة إلى تجديد النظر في الموروث الفكري الديني:**

لعل أول محدد منهجي يميز المفكر الديني، والذي يمثله في شرحنا هذا –محمد عبده ورشيد رضا ومحمد الغزالي الذين جمعوا بين الثقافة والفكر والفقه-، وكانت مرجعيتهم المعرفية ومنطلقاتهم الابستمولوجية الجمع بين النص والواقع معا، أي:"الجمع بين القراءتين"، هو أنهم دعوا إلى تجديد النظر في الموروث الفكري الديني، ولم يتوقفوا عند حد فتح باب الاجتهاد بالمعنى التقليدي[[8]](#footnote-8).

 وهم بهذا يعدون أنفسهم غير مرتبطين بالفقيه والمفسر التقليدي لعدة اعتبارات كالتالي:

**أـ نبذ العمل بالتقليد:**

 لم يعمد المفكر إلى العمل على الأقل بالتقليد الذي هو شأن غالب الفقهاء، بل أنه يعده من أهم أسباب انحطاط الأمة وتخلفها. بل في أحيان معينة نجد أن المثقف والمفكر الديني ينكر التقليد كلياً ويعده من الشرك الذي تجب محاربته من غير هوادة كالذي يذهب إليه محمد عبده وتلميذه رشيد رضا.

 ومن ذلك تنديد هذا الأخير بمقلدة الفقهاء حيث ساروا بطريق يخالفون فيه نصوص الآيات أو ظواهرها، مستشهداً بما نقله الفخر الرازي[[9]](#footnote-9) عن أحد شيوخه قائلاً:

(قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض المسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا إليها وبقوا ينظرون إلي كالمتعجب، يعني كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها.

ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء سارياً في عروق الاكثرين من أهل الدنيا)[[10]](#footnote-10).

وقد اعتبر رشيد رضا أن هذه الظاهرة ظلت متفشية بقوة مع مرّ الزمن إلى عصرنا هذا.

كما كان الشيخ الغزالي يرفض التقليد الأعمى والمطلق للأئمة السابقين، لا سيما من أهل العلم، بل عليهم أن يستكملوا نقصهم العلمي، وأدواتهم الثقافية ، حتى يبلغوا الدرجة التي يتمكنوا فيها من النظر والترجيح بين الأقوال، كما اجتهد الأولون لأزمانهم وبيئاتهم.

ويرى الشيخ أنه لابد للفقيه المعاصر أن ينظر في الميراث العلمي للعلماء المتقدمين في أعصار الإسلام المختلفة نظرة جديدة، في ضوء مقررات الكتاب والسنة، ومقاصد الإسلام وكلياته القطعية، ويأخذ من أقوال الشراح ويدع، فالنصوص معصومة، ولكن أفهام الشراح وأقوالهم في تفسيرها غير معصومة[[11]](#footnote-11).

**ب ـ إنكار المفكر الديني للتنطعات والتدقيقات الفقهية:**

 ومن ذلك أن الكواكبي اعتبر أن توسيع الفقهاء لدائرة الأحكام أدى إلى تضييق الدين على المسلمين تضييقاً أوقع الأمة في ارتباك عظيم، بحيث جعل المسلم لا يكاد يستطيع أن يعد نفسه مسلماً ناجياً، لتعذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته تبعاً لطلبات الفقهاء المتشددين الآخذين بالعزائم .

‹‹فبذلك أصبح الجمهور الأكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم التهاون اضطراراً، فيهون عليهم التهاون اختياراً كالغريق لا يحذر البلل.

لأنه كيف يطمئن الحنفي العامي حق الاطمئنان في الاستبراء لتصح طهارته؟

وكيف يحسن مخارج الحروف كلها وقد أفسدت العجمة لسانه لتصح صلاته؟

وكذلك كيف يصحح الشافعي العامي نيته على مذهب إمامه في الصلاة؟ أو يعرف شدّات الفاتحة الثلاث عشرة وينتبه لإظهارها كلها ليكون أدى فريضته؟››[[12]](#footnote-12).

 وقد ضرب الكواكبي مثلاً بارزاً على التوسع المغالي في الآراء الكثيرة المتعلقة بالسواك.

إذ جاء عن النبي قوله: ‹‹لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك››[[13]](#footnote-13)، فعلى هذا الحديث تشعبت الآراء واتسعت، حيث أخذ الفقهاء يبحثون عن نوع العود المستخدم في السواك، وعن طوله وطريقة استعماله، والأمكنة والأوقات التي ينبغي فيها استخدامه، وما إلى ذلك من تفريعات منافية للمقصد الشرعي[[14]](#footnote-14).

 كما أن محمد عبده هو الآخر قد ندد بطريقة بحث الفقهاء في التوسيع والتفريع واصفاً إياها بأنها هي التي ضيعت الدين، حيث أن الفرد العامي الذي يسعى إلى كسب معاشه لا يسعه صرف سنين طويلة في تعلم أحكام الطهارة وسائر العبادات من الكتب الطويلة الصعبة المألوف استخدامها لدى الفقهاء كما في الأزهر، فعلى حد قوله: ‹‹أي حاجة إلى هذه الأبحاث الطويلة؟ والتدقيقات في مسائل المياه والطهارة والصلاة؟! قال :صلوا كما رأيتموني أصلي [[15]](#footnote-15) وشرح صلاته ووضوءه، مما يمكن بيانه في ورقات قليلة[[16]](#footnote-16)، وكل ماء يشرب وينقى به البدن يطهر به.

**انعدام التوازن في المباحث الفقهية "عبادات ومعاملات":**

 كما أننا نجد الغزالي يندد بتوسع الفقهاء وبخاصة في ميدان العبادات وبعض أبواب المعاملات حتى أنه حفـل بأخيلة تجعل المرء يضحك حينا، وتجعله يدهش أحيانا لخصوبة الأذهان التي تعرضت لأبعد الصور، وأعقد القضايا بالتقريب والحل، وفي موضع من كتبه يصف التوسع في هذه المباحث بالورم السرطاني الذي يتضخم في الجسم على حساب أعضاء أخرى، وإذا ضربنا مثلا لذلك من الناحية السياسية فإن الغزالي وفيما يخص النزعة الاستبدادية تحديداً يذكر (أن الفقه الذي يرشح أصحابه لخدمة الوحدة الإسلامية يحتاج إلى إضافات واجتهادات جديدة، يستحيل أن تعجز عنها أصول الفقه عندنا…

وقد تحدث العلماء القدامى في السياسة الشرعية، والتراتيب الإدارية، بيد أن حديثهم كان قليلا، ويبدو أنهم أوجزوا حتى لا يصطدموا بالساسة ، ويتعرضوا للمحن…

 ومع إيجازهم فقد وقفوا عند حاجات عصرهم، وقد مضت قرون طويلة، وهذا الضرب من ثقافتنا الإسلامية لا يعدو حاجات المسلمين حتى القرن السابع الهجري، فهل ينشط الفقهاء المسلمون ليجعلوا التشريعات الإدارية، والدستورية، والدولية، مناسبة لمطالع القرن الخامس عشر الذي احتفلنا بمقدمه من بضع سنين ؟..)[[17]](#footnote-17).

 ولطالما نجد الشيخ قد ركز على هذه المفاهيم في كتبه ومحاضراته ولوّح بلسان النقد إلى ضرورة تعريج فقهاء القانون بغية معالجة هذا الخلل الجلل الذي أصابنا في حياتنا السياسية.

 وفي هذا النص الذي سنسرده ما يشير إلى الأخطاء المتمثلة في اهتمام فقهائنا بناحية على حساب نواحي أخرى، تناولها الغزالي بقلمه المسطر، وعقله المفكر، فأبلغ في العبارة، وأوضح ما ينتج جراء تقصيرنا في العناية بمثل هذه الأمور جزائنا المنتظر، من التخلف والتأخر، وواجبنا في الاستفادة من تجارب البشر في هذا الميدان فقال: (كان من أخطاء الفكر الإسلامي الأولى بذله جهدا مضنيا في بحوث ما وراء المادة، فبدّد بهذا قدرا كبيرا من طاقته دون جدوى، ولغير سبب، وخالف بهذا التفكير منهج القرآن الكريم في البحث والنظر، فإن الله في كتابه أمرنا بالتأمل في المادة لا فيما وراءها، وفي الكون المشهود ، لا في الغيبيات المفترضة والموهومة، وهذا العوج الفكري الذي حاربه العلماء المحافظون أساء إلينا في ناحية من حياتنا الاجتماعية والثقافية.

 وثمّ عوج آخر أساء إلينا في ناحية من حياتنا السياسية، وهو فيما أرى نقص معالم الفقه الدستوري من حياتنا الفقهية الرحبة، مع وفرة مادته في مواريثنا السماوية، ومع الحاجة الماسة إليه في سيرنا التاريخي الطويل.

وأعني بالفقه الدستوري: هذه الدراسات التشريعية التي تحدد وظيفة الحاكم وصلته بالأمة والسلطات التي يملكها، وطرائق الشورى التي فرضها الإسلام عليه والحقوق والواجبات المتبادلة بين شتى الأجهزة الإدارية التي تشكّـل عموما نظام الدولة.

 إن كلمة وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ [الشورى:38] لا يكفي أن يلقيها واعظ من فوق منبر، أو يرسلها قارئ في الهواء، فلا تأخذ مجراها في الحياة العامة قوانين ملزمة، واختصاصات واضحة.

 صحيح أن الأمّـة تدارست في حلقات العلم حقائق كثيرة في ذلك المجال، لكن هذه الدراسات لم تأخذ طريق الاستبصار والاستبحار، الذي يقدم للمجتمع الإسلامي ضمانات وثيقة، فلا يتعرض للأزمات التي تكوّن منه حاكما مسعورا، أو التي تقوده كارها إلى طريق الدمار…

 إن الفقه الإسلامي- في ميدان العبادات والمعاملات- حفـل بأخيلة تجعل المرء يضحك حينا، وتجعله يدهش أحيانا لخصوبة الأذهان التي تعرضت لأبعد الصور ، وأعقد القضايا بالتقريب والحل ، ومع ذلك فإن هذه الناحية الدستورية لم تأخذ من العناية ما أخذته أبواب الغسل في العبادات، ولا ما أخذته أبواب البيوع في المعاملات !!…

 ومن يدري؟ لعل الانحراف الأساسي في تكوين السلطات العليا هو الذي أغرى بتلك النقائض؟

 وفي رأيي أن الإفادة من تجارب البشر في هذا الميدان عظيمة الجدوى، إن البشر في أقطار فيحاء، وعلى آماد متطاولة لدغتهم آثام الحكم الفردي، ونهشت لحمهم فلا عجب إذا عملوا بنداء الفطرة على تحصين أنفسهم ضدها، وعلى وضع الدساتير التي تتضمن العبر المستخلصة من صراع الظالمين معهم ، وصراعهم مع الظالمين… وليس هذا نقلا لفكر أجنبي يزاحم مواريث الدين، أو يوهم بعدم كفايتها لحاجات العصور.

 كلا إنما هو نقل لوسائل متجددة بطبيعتها، لتحقيق الغايات التي جاء بها الدين ولإنفاذ النصوص التي تضمنتها)**[[18]](#footnote-18)**.

**ج ـ الطرق المعرفية الممارسة من لدن المفكر "المثقف" الديني.**

 والمفكر "المثقف" الديني إذ لا يعول على الفقيه بالتقليد ولا يعمل بالتنطعات والتدقيقات الفقهية فإن له طرقاً معرفية عدة قام بممارستها.

 ويمكن تصنيفها طرق رئيسة هي: انفتاحه على النص مباشرة، وممارسة النظر والترجيح بين الآراء العلمية، ثم الاعتماد على مصادر معرفية أخرى.

أما بيان هذه الطرق فسيكون كما يلي:

**الأولى: الانفتاح على النص مباشرة:**

ذلك أن المفكر الديني انفتح على النص مباشرة دون وسائط الفقهاء عادة.

فمثلاً شدد الكواكبي في (طبائع الاستبداد) على ضرورة فهم القرآن من غير تقييد، طبقاً لمسلمة كون الدين مبنياً على العقل، وأنه لا بد من التبصر في مقاصده.

فالقرآن الكريم من أوله إلى آخره إذا ما لوحظت مقاصده وتفهم أسباب نزول آياته لا تجد فيه من حكم إلا وتلقّاه العقل بالإجلال والإعظام دون حاجة للرجوع إلى الغير ممن يعملون بالتوسعة والتدقيق، ومن ثم التشويش والتضليل[[19]](#footnote-19).

كما طالب محمد عبده بقراءة القرآن وفهمه مباشرة بعيداً عن التفاسير، بل إنه حذّر من هذه التفاسير وقال وهو يخاطب أعضاء جمعية العروة الوثقى:

 ‹‹داومْ على قراءة القرآن وتفهّم أوامره ونواهيه، ومواعظه وعبره، كما كان يُتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي، وحاذر النظر إلى وجوه التفاسير إلا لفهم لفظ مفرد غاب عنك مراد العرب منه، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصله، ثم اذهب إلى ما يشخصك القرآن إليه، واحمل بنفسك على ما يحمل عليه، وضع إلى ذلك مطالعة السيرة النبوية واقفاً عند الصحيح المعقول، حاجزاً عينيك عن الضعيف والمبذول››[[20]](#footnote-20).

وعلى هذه الشاكلة اعتبر أن لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتابه، وعن رسوله من كلامه، بغير وساطة أحد من سلف ولا خلف، وإنما يجب عليه قبل ذلك العلم بالوسائل التي تؤهله للفهم، كقواعد اللغة العربية وآدابها وأساليبها، وأحوال العرب والناس زمن البعثة النبوية، وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي، وشيء من الناسخ والمنسوخ من الآثار، فإن لم تسمح له حاله بالوصول إلى ما يعده لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما.

 كما عليه أن يطالب المجيب بالدليل، لا فرق في ذلك إن كان السؤال في العقائد أو في الفقه والأحكام العملية ‹‹فليس في الإسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه››[[21]](#footnote-21).

 ويؤكد الغزالي على ضرورة العناية بكتاب الله ، وتقديمه على ماسواه، بقوله: "الذي أراني مضطرا إلى التنبيه إليه هو ضرورة العناية القصوى بالقرآن نفسه، فإن ناسا أدمنوا النظر في كتب الحديث واتخذوا القرآن مهجورا، فنمت أفكارهم معوجة، وطالت حيث يجب تقصر، وقصرت حيث يجب أن تطول، وتحمسوا حيث لا مكان للحماس، وبردوا حيث تجب الثورة.

 إن الوعي بمعاني القرآن وأهدافه، يعطي الإطار العام للرسالة الإسلامية، ويبين الأهم فالمهم من التعاليم الواردة، ويعين على تثبيت السنن في مواضعها الصحيحة..

 والإنسان الموصول بالقرآن دقيق النظر إلى الكون، خبير بازدهار الحضارات وانهيارها، نير الذهن بالأسماء الحسنى والصفات العلى، حاضر الحس بمشاهدة القيامة وما وراءها ، مشدود إلى أركان الأخلاق والسلوك ومعاقد الإيمان، وذلك كله وفق نسب لا يطغى بعضها على بعض، وعندما يضم إلى ذلك السنن الصحاح مفسرة للقرآن ومتممة لهداياته فقد أوتي رشده"**[[22]](#footnote-22)**.

 فالقرآن الكريم المصدر الأول لتعاليم الإسلام، وهو من المصادر الأخرى بمنزلة الجذع من فروع الشجرة وثمارها، ويعجب لأقوام يقدمون على كلام الله وأحكامه كلاما آخر وأحكاما أخرى.

فيقول-رحمه الله- "وأنت ترى في الأنظمة العامة التي تحكم الجماعات دساتير أصلية، ثم قوانين إدارية وجنائية وشخصية وتجارية، ثم لوائح وقرارات ومذكرات تفسيرية...إلخ.

 والمفروض في الدساتير أنها مجمع القواعد الخطيرة في الحكم والتشريع والتنفيذ، وأنها تضم أمهات المسائل التي ينبني النص عليها ولا تترك للتقديرات المختلفة، وأن ماعداها يرتكز عليها ويستمد على حرمتها منها.

ولذلك لا يمكن أن يحتوي مايخالفها نصا أو روحا.

فإذا وجد هذا المخالف ألغي من تلقاء نفسه .

 كذلك كتاب الله ، هو قطب الإسلام ، ومنبع شرائعه ، والدستور الذي يقتعد الصدارة فيما يضم من توجيه وأدب، ووصايا وأحكام"[[23]](#footnote-23).

**الثانية: ممارسة النظر والترجيح بين الآراء العلمية:**

 ذلك أن المفكر الديني قام بممارسة الترجيح بين الآراء العلمية الموروثة في الحالات التي لا يسعفه النص ولا يجد طريقة أخرى تقربه إلى التحقيق، فنجد الغزالي يذكر أن المذاهب المشهورة وغيرها تحتوي على تراث نفيس من الأفكار وجهد عقلي ونقلي قد يقصر أغلبنا في بلوغ مستواه، بيد أن القول المشهور شيء والتحقيق العلمي شيء آخر...

 وقد نبهت في مكان آخر أن ابن تيمية رد فقه الأئمة الأربعة في إيقاع الطلاق البدعي والحق معه عند التأمل، وأن ابن حزم هدي إلى أحكام فقهية أولى بالحياة من غيرها**[[24]](#footnote-24)**.

**الثالثة: الاعتماد على مصادر معرفية أخرى:**

 ذلك أن المفكر الديني اعتمد على مصدرين هامين من مصادر المعرفة، هما العقل والواقع، رغم أن بعضهم لا يملك تقنيناً منهجياً واضحاً وصريحاً كالذي نراه لدى الفقيه، إذا استثنينا الغزالي الذي يعتبر كما يؤكد في عديد كتبه أن مصدر العلم الذي علا به آدم على الملائكة، الكون ولا يكون علم بالكون إلا عبر واسطة العقل وبوابته.

 إن العلم بالكون هو صميم الإنسانية، والجهل به لا يعوض عنه شيء، وقد أبان القرآن لنا ثلاثة أسباب لهذا العلم الكوني الواسع..

**الأول:** دلالته على الله...وقد شرحنا ذلك في أماكن أخرى...

**الثاني:** ارتباط الحياة الإنسانية ضروراتها ومرفهاتها بهذا الكون.وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33) [النازعات].

إن أغذيتنا وأدويتنا وألبستنا من هذه الأرض ، والأرض جزء محدود من عالم ممدود، بل إن ثقبا في بعض الأغلفة يتهدد أرضنا بالفناء. كأن هذا الكون كله خلق من أجلنا... أليس يدعو للكآبة أن المسلمين المعاصرين آخر من يعلم هذه الحقيقة؟.

إن فقه الكون والحياة فريضة أسبق من فرائض أخرى صنعها أصحاب الثقافات المغشوشة، زعموها دينا وهي أبعد ماتكون عن الدين...

**الثالث:** حماية الحقوق والحقائق، فالويل لنا يوم يكون أهل البيت مسلحين بالحجارة واللصوص مسلحون بقذائف قريبة المدى أو بعيدة المدى سينهب الحق وتطمس الحقيقة**[[25]](#footnote-25)**..

**الصدور عن رؤية معرفية شاملة:**

 ذلك أن المفكر الديني لا يقنع باستيراد الإجابات الغربية الجاهزة على الأسئلة التي يطرحها عليه الواقع، ويتسم بأنه بالضرورة خطاب شامل، فهو على المستوى الجماهيري يطرح شعار (الإسلام هو الحل)، ولكن على المستوى الفلسفي يطرح شعار (الإسلام هو رؤية للكون)، وهو يتعامل مع كل من اليومي والمباشر والسياسي والكلي والنهائي؛ أي أن الخطاب الإسلامي هنا يصدر عن رؤية معرفية شاملة يولد منها منظومات فرعية مختلفة: أخلاقية وسياسية واقتصادية وجمالية، فهو منظومة إسلامية شاملة تفكر في المعمار والحب والزواج والاقتصاد وبناء المدن والقانون وفي كيفية التحلي والتفكير، وفي توليد مقولات تحليلية مستقلة، ولذا فالخطاب الإسلامي لا يقدم خطابًا للمسلمين فحسب وإنما لكل الناس، حلاً لمشاكل العالم الحديث، تمامًا مثلما كان الخطاب الإسلامي أيام الرسول.

1. **توسعة المصادر المعرفية بإعادة الاعتبار للعقل:**

 لقد أعاد المفكر "المثقف**"** الديني العقل إلى إطاره الطليعي كمصدر مهم للفهم والتوليد المعرفي، وبذلك عبّر الكواكبي من أنه ‹‹أضحى المسلمون محتاجين للحكمة العقلية التي كادت تجعل الغربيين أدرى منّا حتى في مباني ديننا››**[[26]](#footnote-26)**.

 وهو يؤكد بأن ميزة الدين الإسلامي كونه مبنياً على العقل المحض، وبالتالي أنه ‹‹أفضل صارف للفكر عن الوقوع في مصائد المخرفين، وأنفع وازع يضبط النفس من الشطط، وأقوى مؤثر لتهذيب الأخلاق، وأكبر معين على تحمل مشاق الحياة، وأعظم منشط على الأعمال المهمة الخطرة، وأجل مثبت على المبادئ الشريفة، وفي النتيجة يكون أصح مقياس يستدل به على الأحوال النفسية في الأمم والأفراد رقياً وانحطاطاً››**[[27]](#footnote-27)**.

 ومثل ذلك عدّ محمد عبده ‹‹العقل من أجلّ القوى، بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها، والكون صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه، وكل ما يقرأ فيه فهو هداية إلى الله وسبيل للوصول إليه››**[[28]](#footnote-28)**.

وهو قد أعاد الاعتبار لأولئك الذين أُتهموا بالبدع ممن لجأوا إلى مرجعية العقل مثل المعتزلة.

**منزلة العقل في خطاب الغزالي:**

ومع أن للقلب أحكاماً لا يعرفها العقل –مثلما تقول عبارة باسكال[[29]](#footnote-29) الشهيرة- فإن العقل نجده يشكل مبدأ ومنطلقا وموجهاً أساسياً في المعرفة عند الشيخ الغزالي، وثقته فيه أعظم بكثير من ثقة باسكال فيه، مثلما هي أعظم بكثير من ثقة جملة فقهاء الإسلام و"أصحاب الحديث" فيه، ومن ثقة المتصوفة الذين يزيحونه أصلاً وابتداءً من الطريق.

 والرأي عند جملة من الدارسين والباحثين أن الشيخ الغزالي يتمثل في هذه المسألة موقفاً يتفوق فيه صراحة على جملة تجارب الفكر الإسلامي الكلاسيكي التي خلّفها المعتزلة والفلاسفة، وبخاصة الغزالي وابن رشد منهم، والمتصوفة، فضلاً عن "أصحاب الحديث" بطبيعة الحال.

 وأنا أعتقد أن رؤية الشيخ الغزالي للعقل –وأنا لا أتحرج من أن أسميها بــ"العقلانية الواقعية"- تبدو في سياق مرجعي إسلامي، أكثر موافقة من تلك الرؤى لواقع الأحوال البشرية في عالمنا المعاصر.

لا شك في أنها لا تتوسل للتعبير عن نفسها بالجهاز الفلسفي والمنطقي الذي يستند إليه النظام المعرفي الاعتزالي، أو النظر الاصطلاحي الذي أتقنه أبو حامد الغزالي وبرع فيه ابن رشد، لكنها تدرك الغايات التي تسعى إليها بآليات "إنسانية" أقرب إلى "الحس العام" و"البداهة" و"الطبع" و"الضمير"**[[30]](#footnote-30)**.

 فالغزالي يؤكد مرارا أن الإنسان عقل وقلب...

"وأريد أن أقرر دون تردد أن جهاد العقل الإنساني ومكاسبه التي ظفر بها موضع احترامنا، وأن هذا الجهاد إن كان قد مضى في طريقه منفردا، لم يستصحب الدين معه فليس هو الملوم في ذلك.

فإن كثيرا من أهل الدين أساءوا إلى ربهم وإلى أنفسهم يوم بخسوا العقل قيمته، وافتعلوا العراقيل أمام حركته....إن عظمة الإنسان تقوم على نشاط عقلي لا حدود له، يواكبه نشاط عقلي لا يقل عنه كفاءة، بل يربو عليه"[[31]](#footnote-31).

**الواقع كمصدر رئيس للمعرفة لدى المفكر الديني:**

كذلك فبنظر هؤلاء المصلحين يعتبر الواقع مصدراً رئيساً للمعرفة لا غنى عنه.

 فمحمد إقبال عبّر عن هذا المصدر بالتجارب والملاحظات والخبرات، بل ورأى أن هناك اتجاها تجريبياً عاماً للقرآن يتبدى من خلال ما يستهدفه من ضرورة التأمل للطبيعة[[32]](#footnote-32) مؤكداً أن النظر في الكون والآفاق والأنفس، وكذا الوقوف على أخبار الأولين، هي من مصادر المعرفة الإنسانية بحسب القرآن الكريم[[33]](#footnote-33).

 أما مرجعية الواقع بنظر الكواكبي فإنها تشمل مختلف الميادين، بما فيها الواقع الغربي، وكذا التجارب الحضارية والحاجات الاجتماعية وجميع أصناف الثقافة المعتمدة على الموضوعات الخارجية؛ كالعلوم الاجتماعية من الحقوق والسياسة والاقتصاد والفلسفة العقلية والتاريخ القومي والجغرافي والطبيعي والسياسي والادارة الداخلية والحربية**[[34]](#footnote-34)**.

 وإذا كان البعض من الرواد أبدى أنه لا يعمل بغير الكتاب والسنة، كالذي نراه لدى محمد عبده وتلميذه رشيد رضا، فلأن هذه التصريحات أتت كرد على مسلك الفقهاء المقلدين الذين وضعوا النصوص المباشرة من الكتاب والسنة خلف أظهرهم.

 وهو ما يتبين مما ذكره رشيد رضا نقلاً عن محمد عبده بأن شيخاً من أكبر الشيوخ سناً وشهرةً في العلم قال في مجلس إدارة الأزهر على مسمع الملأ من العلماء: ‹‹من قال إنني أعمل بالكتاب والسنة فهو زنديق››، بمعنى أنه لا يجوز العمل إلا بكتب الفقهاء.

فردّ عليه محمد عبده قائلاً: ‹‹من قال إنني أعمل في ديني بغير الكتاب والسنة فهو الزنديق››[[35]](#footnote-35).

 صحيح أن هذين العَلَمين ومثلهما الإمام محمد الغزالي يعملون بالكتاب والسنة كمختصين لا يختلفون من هذه الناحية عن الفقيه، إلا أنهما لم يتوقفا عند هذا الحد، بل أضافا إلى ذلك مصدراً معرفياً هاماً مستمداً من الواقع، إلى الحد الذي عملا فيه على تأويل النص لصالح الواقع، أو ترجيح مطالب هذا الأخير على الأول، سيما إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار حجم ضغط الحاجات الزمنية والحضارية التي صادفتهما.

 ويكفي أن نعلم بأن رشيد رضا قد رجّح العلوم الكونية على الفقهية والكلامية في فهم القرآن[[36]](#footnote-36)، وأنه اعتبر إدخال العلوم الطبيعية أهم أركان التفسير والعمل بهدي القرآن لامتلائه بذكر آيات الله في خلق السماوات والأرض[[37]](#footnote-37). الأمر الذي دعاه إلى الجمع بين العلمين الكوني والديني[[38]](#footnote-38).

كل ذلك مما له دلالة على ما للواقع من مرجعية معرفية تأسيسية لفهم النص.

**الحقائق العلمية الحديثة لخدمة الحقائق الدينية:**

 والشأن مع الغزالي نفسه إذ أن من المبادئ الموجّهة لتجربته المعرفية والروحية ولدعائم النظر والعمل عنده مبدأ: العلم. والغزالي ليس "عالماً طبيعياً" ولا "فيلسوف علم"، لكن الناظر في مصنفاته يدرك بجلاء أنه كان حريصاً بالغ الحرص على أن يتزود من المعارف العلمية، ويتابع قضايا العلم ومكتشفاته ليتسنى له الإفادة منها في نشاطه "الدعوي".

 وملاحقة المسائل العلمية أمر تعلق به رجال النهضة الإسلامية منذ أواخر القرن التاسع عشر، واشتد تعلقهم بها مع انتشار عدد من الفلسفات الطبيعية ذات السمة "الإلحادية" وبخاصة (الداروينية)، وعلى وجه الإجمال (المادية).

 وقد اعتقد هؤلاء المفكرون الذين تصدوا لهذه الفلسفات بالتحليل والنقد والرد أن الاستقصاء العلمي والتعمق في مسائل العلم وقضاياه ومناهجه ييسر لهم هذه الرسالة، ويؤدي إليهم أسلحة دفاعية وهجومية من الطراز الأول في معركة الذب عن الإسلام ورد هجمات خصومه "العلميين".

 وقد كان الشيخ اللبناني الطرابلسي حسين الجسر**[[39]](#footnote-39)** (1745-1909) أبرع من جرد أسلحة ماضية في وجه الداروينية، كما كان المصري طنطاوي جوهري**[[40]](#footnote-40)** (1870-1940) من أبرز من عنوا بمتابعة المجالات المختلفة للعلوم وجواهرها، ولعجائب الكون التي يكشف عنها العلم الطبيعي، وللتعريف بالعلوم العصرية، وتقرير مساوقتها لنظام الإسلام ولآي القرآن الكريم.

 والحقيقة أنه يتعذر تماما أن نلقى أحداً من المصلحين المسلمين المحدثين والمعاصرين إلا وقد عُني بمسألة العلم ووشائجه بالدين. ولهم في ذلك مناهج وأنظار وفهوم ليس هذا القول موضعها**[[41]](#footnote-41)**.

والقضية عند الشيخ الغزالي قاطعة محسومة: "إن الدين الحق والعلم هما تصوير متكامل للوجود".

 وإن "العقول الذكية" هي وحدها التي تستطيع "اختراق أسرار الكون ومعرفة آيات الله في شتى الأمكنة والأزمنة"، وهي وحدها التي "تميز الحق من الباطل وتعرف حقائق الوحي"**[[42]](#footnote-42)**.

لقد خلقت العقول "للتجاوب مع حقائق الكون" و "لتكون مفاتح خزائنه وكواشف أسراره"، والحضارة الإسلامية نفسها قامت على "العقل والبصر"**[[43]](#footnote-43).**

 وأبلغ من هذا وأبعد غوراً ما يصرح به من القول: "ونحن –باسم الإسلام- نعتبر تصديق الحقائق العلمية دينا"**[[44]](#footnote-44)**. وتأسيساً على هذا القول يوجب "على علماء الكون والحياة أن يروا تصديق الحقائق الدينية العلمية العادية". والعلة بيّنة، وهي أن الله هو مصدر الحقيقتين: الدينية والعلمية.

ولهذا السبب نفسه يمتنع تمام الامتناع أن ينشأ تعارض أو تناقض حقيقي بين الحدين. ولا يملك الناظر وهو يتأمل هذا الفهم إلا أن يذكر ابن رشد وتقريره المشهور في أمر الاتصال بين العقل والشريعة، وإن كان من الحق أن نقول إنه لا يذهب مذهبه في التأويل الذي يبدو وكأنه يقدم العقل على النص.

**القرآن بين الهداية والإعجاز:**

 بيد أن الشيخ الغزالي يظل مفكراً "واقعياً" يدرك تمام الإدراك حدود علوم الكون والحياة من وجه، وحدود الرسالة الدينية ومضمون الوحي من وجه آخر.

 وذلك أنه يأبى أن يذهب إلى ما ذهب إليه أصحاب (التفسير العلمي) للقرآن، إذ يقرر صراحة "أن القرآن الكريم ليس كتاب مباحث فنية في علوم الكون والحياة، وغاية ما ألمع إليه أنه –وهو بيني اليقين على التأمل في ملكوت السموات والأرض- وصف هذا العالم بكلمات معجزة حالفها الصدق على اختلاف العصور وارتقاء العقول، فبقيت في تصوير الحق براقة الدلائل، لا يأتيها الباطل من بين يدينها ولا من خلفها لأنها ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]"[[45]](#footnote-45).

 والحق الذي لا لجاج فيه، في معتقد الشيخ الغزالي، هو أن هذا الوجه من المسألة لا ينبغي أن يشغلنا عن "الغاية العظمى" التي نـزل القرآن من أجلها.

 فالواقع أن القرآن "من قبل ومن بعد، كتاب هداية جامعة للسلوك الإنساني الصحيح"، وهو في هذا الشأن "استوعب كل شيء" مما يرجع إلى الأمر بالخير أو النهي عن الشر، ومما يتصل بالمبادئ الموجهة للسلوك البشري كالإخاء والعدالة والحرية والمساواة، وجملة الحقوق والمبادئ التي تضمنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في العاشر من ديسمبر (كانون الأول) 1948، أي بعد أربعة عشر قرناً من نـزول تعاليم الإسلام في هذه الحقوق.

 وهذا التساوق بين الوحي والعقل السديد ليس أمراً مبتدعاً، فقبل أن ينـزل الوحي وفي المواطن التي لم تبلغها أشعته بعد أن نـزل، لم يقف العقل الإنساني جامداً، وإنما مارس وظيفته في الإدراك وفي استكناه طبيعة الحياة ورسالة الإنسان فيها، والكشف عن حقائق كثيرة مما يتصل بمعرفة الله والعالم، وفي أمر العلاقة بين الإنسان وربه وبين الإنسان وأخيه الإنسان.

ويلاحظ الشيخ الغزالي أن أبا حامد الغزالي قد تنبه في المنقذ من الضلال إلى التوافق في السياسة الخلقية والاجتماعية بين أحكام الدين ومقررات الفلاسفة، وإلى أنه قد أرجعه إلى تأثر هؤلاء بمواريث دينية عن النبوات الأولى**[[46]](#footnote-46)**.

 ومع أن الشيخ الغزالي يرى أنه "قلما ظهر مذهب فلسفي وأصاب لحق في نواحيه الإلهية والخلقية والاجتماعية كلها"، وأن "في التفكير البشري المجرد آفات يجب أن تُحذر"، وبخاصة حين تكون المعرفة سطحية تتعلق بالظواهر، فإنه يسوق قول أحد مفكري الغرب: "إن القليل من الفلسفة يبعد عن الله، ولكن الكثير منها يرد إليه جل جلاله"[[47]](#footnote-47). "ومع أن العقل البشري سار طويلاً وحده، إلا أن حصيلة الكثرة العظمى من الفلاسفة، ولا قيمة للشواذ".

لكن "الدين –كما جاء من عند الله- هو الخلاصة النقية السهلة التي جمعت الحق كله"**[[48]](#footnote-48).**

**درء تعارض العقل والنقل:**

 ولا بأس بأن نشرح موقف الشيخ الغزالي في تحديد العلاقة بين هاتين الدعامتين اللتين تقوم عليهما المعرفة الإنسانية والفعالية العملية لبني البشر: حد العقل ، وحد الوحي.

 والمسألة –كما نعلم- قديمة، وجهت إليها النصوص الدينية، وخاض فيها المتكلمون وأصحاب الرأي منهم بخاصة، وتكلم عليها الفلاسفة: من الكندي**[[49]](#footnote-49)** –أولهم- الذي قرر أن ما جاءت به الرسل قد ورد "بمقاييس عقلية"،[[50]](#footnote-50) إلى ابن رشد –آخرهم- الذي جرد للمسألة رسالة هي فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، وابن تيمية –شيخ السلفيين المتأخرين- الذي بذل بليغ وسعه إذ وضع فيها مصنفه الضخم درء تعارض العقل والنقل.

 يقول الشيخ محمد الغزالي: "هيهات أن يختلف العقل والنقل أو تتناقض ثمار الوحي والفكر، ما دام كلاهما تصويراً مجرداً للحقيقة كما هي دون ريبة أو عوج.

 في العلاقة بين العلم والدين يجب أن نعرف أن قول العاقل وعمله لا يختلفان.

 وإذا كان الكون صنع الله والدين كلامه –جل شأنه- فيستحيل أن يكون في المعارف الكونية ما يخالف العلوم الدينية، إذ العلم ليس إلا وصفاً لما صنع الله في آفاق الأرض والسماء، وتقريراً لما بث فيها من قوى وخصائص. وهذا البيان لأفعال الله يستحيل أن يجيء في وحي الله ما يختلف عنه أو يصطدم به.

إن الدين الحق والعلم الحق هما تصوير متكامل للوجود"[[51]](#footnote-51).

**التصور المبدئي للعقل وميدان عمله عند الشيخ الغزالي:**

 والحقيقة أن التصور المبدئي للعقل عند الشيخ الغزالي هو تصور "توليدي"، بمعنى أن العقل لا يدرك حقائقه مرة واحدة وإنما يسير "على طريق المجهول"؛ إذ هو يدرك حقائق من جملة الحقائق المستورة، ثم ما يلبث أن يدرك حقائق أخرى فأخرى وهكذا. المجهول القابل للاكتناه هو عالمه.

 وهذا العالم الرحب الممتد يشتمل على قطاعات ثلاثة كبرى:
1. قطاع الكون بعناصره المادية وآفاقه وقوانينه.
2. قطاع الشؤون الدنيوية البشرية مما يتصل بارتفاق الإنسان من الطبيعة وبالأنشطة الصناعية والزراعية والتجارية والحرفية، وجملة الخبرات الإنسانية.
3. قطاع العلاقات الإنسانية القائمة على تعرف القوانين النفسية والخلقية والاجتماعية والسياسية التي تحكم الجنس الإنساني في حياته على الأرض.
ما هي حدود العقل في هذه القطاعات الثلاثة؟

 لا يتردد الشيخ الغزالي في التحديد. فالكون مفتوح أمام العقل الإنساني يستطيع أن يرتاده من غير حدود والشؤون الدنيوية البشرية كذلك أيضاً، إذ هي الأخرى "مجال فسيح أمام الفكر الإنساني يتحرك فيه دون قيد وإلى غير حد".

 أما "قطاع العلاقات الإنسانية والقوانين التي تحكمها فله شأن خاص. ففي المواطن التي لم تدركها تعاليم الدين ينفرد العقل بالأحكام. أما بعد نـزول الشرائع وحيث تصل تعاليمها فإن الكلمة لها وحدها.

وهو يعتقد أن جملة ما تقرر عند الأمم خارج دائرة الدين لا يضاد الدين وإن كان ثم أخطاء تتحمل البشرية وزرها، وتحتاج إلى الدين للخلاص منها، كما أنه يتابع أبا حامد الغزالي فيما ذهب إليه في المنقذ من الضلال إذ اعتقد أن جملة ما هو مقبول من الأمور الخلقية والسياسية والاجتماعية عند مختلف الأمم مما يرتد مباشرة إلى الدين، إنما يرجع في أصله إلى الشرائع السماوية القديمة.

لكن القول الحاسم النهائي هنا ينبغي أن يكون للدين[[52]](#footnote-52).

 أما ما لم يرد فيه نص أو نص محكم من أمور الشريعة، فإن الشيخ الغزالي يلتزم فيه جانب أهل (الرأي)، فيقر للعقل بحرية استخدام ملكته الاستنباطية الاجتهادية في الاستدلال للأحكام، وفي استنباطها وفق أصول الاجتهاد التي توجّه فقه (أهل الرأي).
 بتعبير آخر، للعقل مجاله الفذ: علوم الطبيعة والكون، وشؤون الدنيا وصناعاتها، واستنباط الأحكام الشرعية التي لم يرد فيها نص.

 أما مجال الدين فهو القوانين والشرائع التي تحكم العلاقات الإنسانية، والعقائد والعبادات التي تصل المخلوق بالخالق. والوحي هو الأصل الذي يرتد إليها كل شيء في هذا المجال.

 وإننا لنجد عند القراءة في خطاب الغزالي أن العقلانية الغزالية المحدودة تبدي أحكامها في مسألة التحسين والتقبيح العقليين التي يتعلق بها المعتزلة، إذ يذهب الشيخ الغزالي مذهباً "عقلانياً معتدلاً" فيوجه النظر على "أن علماء المسلمين المحققين من سلف وخلف يرون أن في بعض الأشياء حسناً أو قبحاً ذاتيين يستطيع العقل معرفتهم ابتداء"، لكنه مع ذلك يقول جازماً: "إن العقل لا يغني عن شريعة الله، وإن لله من عباده مطالب لا تعرف إلا عن طريق النبوة"[[53]](#footnote-53).

**هل يستطيع العقل اكتشاف "وجود" عالم ما بعد الطبيعة؟:**
 ومعنى ذلك كله فإن مملكة العقل ذات حدود "طبيعية" واسعة.

لكن هل يستطيع العقل أن يتجاوز حدود الكون الطبيعي، وأطر المعرفة الطبيعية؟

إنه يستطيع أن يكشف عن "وجود" عالم ما بعد الطبيعة، أي أن "الله حق"، لكنه لا يستطيع أن يذهب إلى أبعد من ذلك.

 يستطيع العقل أن يثبت وجود الله، لكنه لا يستطيع أن يتكلم على كمالاته الذاتية وعلى صفاته الماهوية.

 وعند هذه المسألة "يشتبك" الشيخ الغزالي مع الكلام الاعتزالي[[54]](#footnote-54).

 يتساءل الدكتور فهمي جدعان[[55]](#footnote-55) عند هذا الحد في دراسة له حول المبادئ الموجهة لتجربة الغزالي، هل كان الشيخ محمد الغزالي قريب نسب روحي بأبي حامد الغزالي؟ ليجيب: لست أشك في هذا البتة. لكنه، والحق يقال، أقرب إلينا من أبي حامد، وليس ذلك لأنه معاصر لنا فحسب، ولكن لأنه أيضاً "معاصر" بإطلاق، قلباً وقالباً.

 وسمة "المعاصرة" هذه هي التي وجهت روحه المتوقدة وفكره "النقدي" –الذي تفجر في مصنفه الفذ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث- إلى استخدام جملة المبادئ المؤسسة لتجربته الروحية في سجاله الحيّ الكبير مع المخالفين المعاصرين الذين لم يدخر وسعاً طيلة حياته المناضلة في دراسة مذاهبهم ومناهجهم، تحليلاً ونقداً ورداً: الاشتراكية، والشيوعية، والرأسمالية، والاستشراق، والصليبية والتنصير، والمادية، والداروينية، والعلمانية، والقومية.

وقد كان ذلك كله استجابة فريدة لدعوته الدائمة أن "الإسلام للإنسان وللحياة"[[56]](#footnote-56).

1. - من هؤلاء محمد يحي وزكي الميلاد... [↑](#footnote-ref-1)
2. - **محمد عبده بن حسن خير الله** (1266 - 1323 هـ = 1849- 1905 م) أحد رجال الفكر الإسلامي النابغين في مصر في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وعالم من علماء الأزهر ومفتي الديار المصرية.كان خبيرًا بالشريعة ومقاصدها ودارسًا جيدًا للقانون. حاول أن يضع تفكير المسلمين في خط انسجام وتوافق مع المكتشفات العلمية وظروف العصر الحديث، وكان يدعو إلى تحرير الفكر من قيود التقليد وكانت لجهوده وأفكاره آثارها في النهضة الإسلامية. الأعلام للزركلي، ج6، ص252. [↑](#footnote-ref-2)
3. **- محمد رشيد رضا** (1282-1354ه، 1865- 1935م). أحد رجال الإصلاح والفكر الإسلامي في مصر والعالم العربي، من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. وُلد في قرية القلمون قرب طرابلس الشام، وتتلمذ على يد الشيخ حسين الجسر صاحب كتاب الرسالة الحميدية . مُنح شهادة العالمية عام 1897م. تأثر بأفكار الأفغاني ومحمد عبده عن طريق جريدة العروة الوثقى، من آثاره جريدة المنار؛ تفسير القرآن الكريم؛ تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده. ينظر:-الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ ، 1/288 . -مشاهير علماء نجد وغيرهم. [↑](#footnote-ref-3)
4. - **محمد الغزالي** ([1335 هـ](http://ar.wikipedia.org/wiki/1335_%D9%87%D9%80)- [20 شوال](http://ar.wikipedia.org/wiki/20_%D8%B4%D9%88%D8%A7%D9%84) [1416 هـ](http://ar.wikipedia.org/wiki/1416_%D9%87%D9%80) / [22 سبتمبر](http://ar.wikipedia.org/wiki/22_%D8%B3%D8%A8%D8%AA%D9%85%D8%A8%D8%B1) [1917](http://ar.wikipedia.org/wiki/1917)-[9 مارس](http://ar.wikipedia.org/wiki/9_%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B3) [1996م](http://ar.wikipedia.org/wiki/1996)) عالم ومفكر [إسلامي](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85) [مصري](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B5%D8%B1)، يعد أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، عُرف عنه تجديده في الفكر الإسلامي وكونه من "المناهضين للتشدد والغلو في الدين" كما يقول [أبو العلا ماضي](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7_%D9%85%D8%A7%D8%B6%D9%8A)، كما عُرف بأسلوبه الأدبي الرصين في الكتابة واشتهر بلقب أديب الدعوة. سببت انتقادات الغزالي للأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي العديد من المشاكل له سواء أثناء إقامته في مصر أو في [السعودية](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9). [↑](#footnote-ref-4)
5. - إسلامية المعرفة، مقال، العالم بين حدين: نظرة في المبادئ الموجهة للتجربة الغزالي، فهمي جدعان، ص ص 72.71. [↑](#footnote-ref-5)
6. - **عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي،** (1855- 1902م). رحالة من الكتاب الأدباء ومن رجال الإصلاح الإسلامي. وُلد وتعلم في حلب، وأنشأ فيها جريدة الشهباء فأغلقتها الحكومة، وجريدة الاعتدال، فعُطِّلت. له من الكتب أم القرى؛ طبائع الاستبداد، وكان لهما عند صدورهما ردود فعل قوية. وكان كبيرًا في عقله وهمته وعلمه ومن كبار رجال النهضة الحديثة وكان كبيرا في عقله وهمته. تناول في كتابه أم القرى أسباب انحطاط المجتمع الإسلامي بتوسع وتفصيل، بحث الكواكبي في هذه الأسباب على شكل حوار بين عدد من الشخصيات التي تخيَّلها، وتناولها بالتفصيل وبإيراد الحُجج والبراهين، فكانت تحليلاً علميًا لواقع المجتمع العربي الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وعلمه، ولسامي الدهان، كتاب (عبد الرحمن الكواكبي - ط) في سيرته. والأعلام للزركلي 3/298، والموسوعة العربية العالمية20/149. [↑](#footnote-ref-6)
7. #  - محمد يحي، دراسة منشورة على شبكة الإنترنت، بعنوان" أسس التفكير لدى المثقف والفقيه: عنوان الرابط: <http://fahmaldin.com/index.php?id=336>، تاريخ التصفح:11/02/2014، الساعة: 13.45.

 [↑](#footnote-ref-7)
8. #  - الكواكبي: طبائع الإستبداد، ص493.

 [↑](#footnote-ref-8)
9. **- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين.** (544-606هـ، 1150 - 1210م).

 أخذ العلم عن كبار علماء عصره، ومنهم والده، حتى برع في علوم شتى واشتهر، فتوافد عليه الطلاب من كل مكان.كان الرازي عالمًا في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها. ترك مؤلفات كثيرة أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، وهو تفسير جامعٌ لمسائل كثيرة في التفسير وغيره من العلوم التي تبدو دخيلة على القرآن الكريم، وقد غلب على تفسيره المذهب العقلي الذي كان يتبعه المعتزلة في التفسير، فحوى تفسيره كل غريب وغريبة كما قال ابن خلكان.اختُلف في سبب وفاته، وقيل مات مسمومًا.وفيات الأعيان1: 486 ، وطبقات الشافعية 4: 90، والأعلام للزركلي، 6/313. [↑](#footnote-ref-9)
10. - المنار، ج8، ص169. [↑](#footnote-ref-10)
11. - إسلامية المعرفة، مقال، نظرات في تراث الشيخ الغزالي، يوسف القرضاوي، ص26. [↑](#footnote-ref-11)
12. 13- الكواكبي: أم القرى، ص344. [↑](#footnote-ref-12)
13. - رواه البخاري (887) ومسلم (252) [↑](#footnote-ref-13)
14. - أم القرى، ص326ـ327. [↑](#footnote-ref-14)
15. 1 - أخرجه البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث، كتاب الأذان باب 18. [↑](#footnote-ref-15)
16. - (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، 1973م ، ج3، ص196. [↑](#footnote-ref-16)
17. - محمد الغزالي ، سر تأخر العرب والمسلمين ، دار البعث ، قسنطينة، الجزائر ، ص180. [↑](#footnote-ref-17)
18. - محمد الغزالي ، معركة المصحف في العالم الإسلامي ، ص97 – 98 . [↑](#footnote-ref-18)
19. - الكواكبي: طبائع الإستبداد، ص508. [↑](#footnote-ref-19)
20. - محمد عبده: الأعمال الكاملة، ج1، ص183. [↑](#footnote-ref-20)
21. - الأعمال الكاملة، ج3، ص286. [↑](#footnote-ref-21)
22. - إسلامية المعرفة، مقال، نظرات في تراث الشيخ الغزالي، يوسف القرضاوي، ص21. [↑](#footnote-ref-22)
23. - محمد الغزالي ، ليس من الإسلام ، ط1، الدار الشامية بيروت، 1420ه-1999م ص29 – 30. [↑](#footnote-ref-23)
24. ( ) – محمد الغزالي، مائة سؤال عن الإسلام، 216 . [↑](#footnote-ref-24)
25. – تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ص 21-22 . [↑](#footnote-ref-25)
26. - أم القرى، ص302ـ303. [↑](#footnote-ref-26)
27. - طبائع الاستبداد، ص508. [↑](#footnote-ref-27)
28. 3- الأعمال الكاملة، ج1، ص183، عن المقدم محمد عمارة. [↑](#footnote-ref-28)
29. - **بليس باسكال** (1623- 1662م). فيزيائي، ورياضي وفيلسوف فرنسي اشتهر بتجاربه على السوائل في مجال الفيزياء، وبأعماله الخاصة بنظرية الاحتمالات في الرياضيات. وُلد باسكال في مدينة كلير مونت ـ فيراند بفرنسا. وقد أظهر نبوغا في الرياضيات منذ أن كان طفلاً، واشتغل في حركة دينية تسمى الجانسينية، وفي أواخر عام 1654م دخل ديرًا من أديرة هذه الجماعة في مدينة بورت ـ رويال. ظل باسكال يدافع منذ عام 1658م وحتى وفاته عن عقيدته. وقد وُجدت بعض أجزاء من عمله هذا الذي لم يكن قد اكتمل في ذلك الوقت بعد وفاته، وطبع باسم بنسيز. ويعبر هذا العمل عن إيمان باسكال بأن هناك حدودًا للحقائق التي يمكن أن يدركها العقل، وأن الإيمان من القلب بالرسالة المسيحية هو المرشد الرئيسي إلى الحقائق. [↑](#footnote-ref-29)
30. - إسلامية المعرفة، مقال، العالم بين حدين: نظرة في المبادئ الموجهة للتجربة الغزالي، فهمي جدعان، ص ص 74.73. [↑](#footnote-ref-30)
31. – محمد الغزالي ، ركائز الإيمان بين العقل والقلب ، دار القلم ، دمشق، ط4-1420ه-1999م، ص 23 ـ 24 . [↑](#footnote-ref-31)
32. - محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلامي، ترجمة عباس محمود، الطبعة الثانية، 1968، ص21. [↑](#footnote-ref-32)
33. - المصدر نفسه، ص144ـ145. [↑](#footnote-ref-33)
34. - طبائع الإستبداد، ص530. [↑](#footnote-ref-34)
35. - المنار، ج4، ص283. [↑](#footnote-ref-35)
36. - المنار، ج1، هامش ص182. [↑](#footnote-ref-36)
37. - المنار، ج9، ص177. [↑](#footnote-ref-37)
38. - المنار، ج4، ص44. [↑](#footnote-ref-38)
39. - **الشيخ حسين الجسر:** (1845-1909) هو ابن الشيخ محمد الجسر المعروف "بأبي الأحوال"، مما قاله رشيد رضا عن شيخه الجسر: "وكان أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر الأزهري هو المدير لها بعد أن كان هو الذي سعى لتأسيسها، لأن رأيه أن الأمة الإسلامية لا تصلح وترقى إلا بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة العصرية الأوروبية مع التربية الإسلامية الوطنية تجاه التربية الأجنبية في مدارس الدول الأوروبية والأميركانية..".

صدر له أول كتبه: "نزهة الفكر في مناقب مولانا الشيخ محمد الجسر" وكذلك "الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية". [↑](#footnote-ref-39)
40. - **طنطاوي جوهري :** وُلد في قرية كفر عوض الله حجازي [بمحافظة الشرقية](http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D8%AA%D8%B5%D9%86%D9%8A%D9%81:%D8%A5%D8%AE%D9%88%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82%D9%8A%D8%A9) عام 1862[م](http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=1862)، التحق الشيخ طنطاوي في مطلع حياته بكتَّاب القرية، وأتم فيه حفظ القرآن، وبعد أن أتم الحفظ ظهر عليه ولعُه بالعلم، فالتحق بالجامع [الأزهر](http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AE%D9%88%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%88%D9%86_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B2%D9%87%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D9%81) عام 1877م، وفي هذه الفترة ظهر نبوغه كما ظهر ذكاؤه الحادّ، فأجاد علوم اللغة العربية والفقه الإسلامي، وألمَّ بمذهب الإمام الشافعي. لم يكن الشيخ طنطاوي عالمًا كسائر العلماء، بل تميَّز في كل نواحي العلوم، فكان العالم الديني الوطني، كما كان العالم الاجتماعي العالمي، جمع بين الثقافتين الدينية والطبيعية والإنسانية، فمزج المسائل الدينية بالآراء الاجتماعية والسياسية، كما جاهد بقلمه ورأيه لرفعة شأن [الإسلام](http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85&action=edit&redlink=1)، وكان يرمي إلى أن العلم إذا حسُن فهمُه كان أداةً صالحةً لتفهُّم روح الدين. [↑](#footnote-ref-40)
41. - إسلامية المعرفة، مقال، العالم بين حدين: نظرة في المبادئ الموجهة للتجربة الغزالي، فهمي جدعان، ص81-82. [↑](#footnote-ref-41)
42. - محمد الغزالي، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، (القاهرة : دار الصحوة، ط7، 1987)، ص 194-195. [↑](#footnote-ref-42)
43. - محمد الغزالي: هذا ديننا، (القاهرة، دار الشروق، ط2، 1990،1990)، ص42. [↑](#footnote-ref-43)
44. - محمد الغزالي: حقوق الإنسان، ص214. [↑](#footnote-ref-44)
45. - محمد الغزالي: المرجع نفسه، ص214. [↑](#footnote-ref-45)
46. - إسلامية المعرفة، مقال، العالم بين حدين: نظرة في المبادئ الموجهة للتجربة الغزالي، فهمي جدعان، ص83. [↑](#footnote-ref-46)
47. - محمد الغزالي: حقوق الإنسان، ص215-216.. [↑](#footnote-ref-47)
48. - المرجع نفسه، ص216. [↑](#footnote-ref-48)
49. - **أبو يُوسُف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي،** (؟ - 260 هـ ، ؟ - 874م).. نشأ في البصرة منذ العقد الأول من القرن الثالث الهجري.

وهو أحد أبناء ملوك كندة اشتهر بفيلسوف العرب، تنسب إليه أولى ترجمات جغرافية لبطليموس، وقد ظهر تأثيرها في كتابه رسم المعمور من الأرض

 وللكندي رسالة مهمة في البحار والمد والجزر. واشتهر في مجالات عديدة منها: الطب والفلسفة والفلك والهندسة والموسيقى، ويزيد عدد مؤلفاته على ثلاثمائة. نال مكانة ممتازة لدى كل من المأمون والمعتصم، لكنه لقي إهانة وأذى من المتوكل. [↑](#footnote-ref-49)
50. -أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، (القاهرة: دار الفكر، 1950)، ج1، ص254. [↑](#footnote-ref-50)
51. - محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، (الإسكندرية، دار الدعوة، 1993)، ص ص 213-214. [↑](#footnote-ref-51)
52. - محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، (القاهرة: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الخامسة، 1988)، ص ص 112-113. [↑](#footnote-ref-52)
53. - محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة، ص127. [↑](#footnote-ref-53)
54. - إسلامية المعرفة، مصدر سابق، ص 75. [↑](#footnote-ref-54)
55. * - **فهمي جدعان:** مفكر أردني من أصول فلسطينية، من مواليد سنة [1940](http://ar.wikipedia.org/wiki/1940) في بلدة [عين غزال](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%8A%D9%86_%D8%BA%D8%B2%D8%A7%D9%84) الفلسطينية، درس الفلسفة في [جامعة السوربون](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B9%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D8%A8%D9%88%D9%86) وحصل منها على دكتوراه في [الفلسفة الإسلامية](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9) [وعلم الكلام](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D8%A7%D9%85) سنة 1968، له آراء جدلية حول الإسلام السياسي حاصل على جوائز عديدة، كما تم اختياره لعنوان الشخصية الفكرية لعام 2013 من قبل بعض المؤسسات الثقافية في بلده. من أهم أعماله: **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث،** ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979؛ ط3، دار الشروق، عمان، 1988 (646ص).-المحنة – بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام، ط1، دار الشروق، عمان 1989؛ ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000 (502ص).**-الطريق إلى المستقبل: أفكار – قوى للأزمنة العربية المنظورة،** المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996 (452ص). [↑](#footnote-ref-55)
56. - إسلامية المعرفة، مقال، العالم بين حدين: نظرة في المبادئ الموجهة للتجربة الغزالي، فهمي جدعان، ص85. [↑](#footnote-ref-56)